



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ 2016/3/11

الْحَدْرُ مِنَ الْإِفْتَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَقَيَّضَ لِهَذَا الدِّينِ رِجَالًا يُفْتُونَ بِعِلْمٍ فَإِذَا لَمْ يَعْلَمُوا لَمْ يُعْطُوا لَا أَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهُ وَلَا شَيْءٌ يُعْجِزُهُ، لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ الْمُصْطَفَى وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى، وَأَنَّ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامَ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الطَّيِّبِينَ وَسَلَّم.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِي نَفْسِي وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَلَا فَاتَّقُوهُ وَخَافُوهُ وَأَمْرُوا بِأَمْرِهِ وَأَنْتَهُوا عَنْ نَوَاهِيهِ وَأَثْبُتُوا عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

إِعْلَمُوا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَائِلٌ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَلَامِهِ وَسَمِعِهِ وَبَصَرِهِ وَفُؤَادِهِ وَأَنَّ اللَّهَ سَائِلٌ عَبْدَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِي الدُّنْيَا هَذَا يَجُوزُ وَهَذَا لَا يَجُوزُ فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾¹ أَي لَا تَقُلْ قَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَالْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنَ الْكِبَائِرِ، رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ² أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ فَمَا مَعْنَى أَنْ يُفْتَى بِعِلْمٍ، وَأَسْمَعُوا مَعِيَ فَإِنَّ الَّذِي يُفْتَى إِذَا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا أَوْ مُقَلِّدًا فِي الْفُتْيَا لِمُجْتَهِدٍ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مُتَجَرِّبًا عَلَى الْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ. أَمَّا الْمُجْتَهِدُ فَهُوَ مَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْإِجْتِهَادِ أَي مَنْ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى صِفَاتٍ مُعَيَّنَةٍ وَشُرُوطٍ لَا بُدَّ أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ، وَهِيَ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً فِي أَغْلَبِ أَهْلِ الْعَصْرِ. قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَكُونُ الشَّخْصُ أَهْلًا لِلْإِجْتِهَادِ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِمَا مَضَى قَبْلَهُ مِنَ السُّنَنِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ وَإِجْمَاعِ النَّاسِ وَأَخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى لَا يَخْرُقَ

¹ سورة الإسراء/32

² معجم شيوخ ابن عساکر.

الإجماع وأن يكون عالماً بلغة العرب ومعاني ما ورد في النصوص الشرعية على وفق كلام العرب. ويشتد في المجتهد أن يكون حافظاً لآيات الأحكام وأحاديث الأحكام ومع معرفة أسانيدها ومعرفة أحوال رجال الإسناد ومعرفة الناسخ والمسنوخ والعام والخاص والمطلق والمقيّد مع فقه النفس أي قوة الفهم والإدراك ومع العدالة، فمثل هذا إن أفتى يُفتي على حسب اجتهاده. وأين يوجد من يجمع كل هذه الصفات في هذا الزمن، وأما إذا لم يكن الشخص بهذه الصفات فيعتمد على فتوى إمام مجتهد أي ينقل قول المجتهد في المسألة. وأما من تسوّر مرتبة ليس أهلاً لها فصار يُفتي الناس بغير علم، صار يُفتي الناس على وفق هواه فهو خائب خائئ يفضحه الله تبارك وتعالى في الدنيا قبل الآخرة كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه من سام بنفسه فوق ما يساوي رده الله تعالى إلى قيمته¹ اهـ

فإياكم والفتوى بغير علم رجالاً ونساءً ولا تُغفلوا لا أدري فإن لا أدري نصف العلم وإن لكم في رسول الله أسوة حسنة ففي الحديث أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشربها فقال لا أدري حتى أسأل جبريل ثم نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن خير البقاع المساجد وشرب البقاع الأسواق². وإن من أعظم الأسباب في انتشار الجهل والمفاهيم الخاطئة بين الناس الفتوى بغير علم واستفتاء الناس لجهلة القوم وأدعياء العلم ففي الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا³ اهـ فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عذراً للمفتي ولا للمستفتي فأما الأول فلأنه أفتى بجهل وأما الثاني فلأنه استفتى من لا يستحق أن يستفتى وقد قال الحافظ النووي رحمه الله لا يجوز استفتاء غير العالم الثقة⁴ اهـ

فطريق السلامة أن يحزر المرء نفسه أولاً قبل أن يُفتي وأن يعرضها على الجنة وعلى النار ثم إن كان الجواب على المسألة واضحاً عنده ووضح الشمس وسط النهار أجاب وإلا فلا. ولا يُفتي برأيه وهواه فإن من اتبع الهوى هوى.

وكم نجد في هذه الأزمان أناساً لا يرجعون إلى الأدلة الشرعية، لا يرجعون إلى نصوص القرآن والحديث ولا إلى أقوال العلماء المجتهدين في الإفتاء وإنما يفتون بما تميل إليه أنفسهم ويرنون ذلك بموازين زينتها لهم قرناً وهم من الشياطين. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

¹ المجموع شرح المذهب 1/13.

² رواه البيهقي في السنن الكبرى.

³ رواه البخاري في صحيحه.

⁴ ذكره في مقدمة المجموع.

اللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيْنَا دِينَنَا الَّذِي بِهِ عِصْمَةُ أَمْرِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الْوَقَّافِينَ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْسِنْ خَوَاتِيمَنَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَعْبُدُهُ تَعَالَى وَنُقَدِّسُهُ وَنُحَمِّدُهُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْآخِرِينَ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَلَا فَاتَّقَوْهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّنَا مَسْئُولُونَ عَمَّا نَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾¹. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْفِتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَقَدْ تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهُ وَخَتَمَ لَنَا عَلَى كَامِلِ الْإِيمَانِ.

Sachez, chers frères de foi, que *Allah soubhanahou wata^ala* interroge Son esclave au Jour du jugement sur l'usage qu'il aura fait de sa parole, de son ouïe, de sa vue et de son cœur, et sur le fait d'avoir dit dans le bas monde : telle chose est permise et telle chose n'est pas permise. En effet, notre Seigneur *tabaraka wata^ala* dit dans le *Qour'an* Honoré ce qui signifie : « **Ne dis pas des choses dont tu n'as pas connaissance ; certes l'ouïe, la vue et le cœur, sur chacun d'eux l'esclave sera interrogé à ce sujet** » c'est-à-dire : ne dis pas des paroles sans science. Ainsi, donner des avis, des *fatwa*, sans science, fait partie des grands péchés.

Le *Hafidh Ibnou ^Açakir*, dans *Mou^jam chouyoukh Ibnou ^Açakir*, a rapporté que le Messager de *Allah ﷺ* a dit ce qui signifie : « **Celui qui donne un avis sans science, les anges du ciel et de la Terre le maudissent.** »

Si tel est le cas, chers frères de foi, alors, que veut dire donner un avis avec science ? Soyez bien attentifs à ce que je vous dis, celui qui donne un avis, une *fatwa*, soit il est lui-même un savant du plus haut degré capable de déduire les jugements à partir des textes et c'est donc un *moujtahid*, soit il ne l'est pas et c'est donc un *mouqallid* qui doit se limiter aux *fatwa* d'un *moujtahid*, soit c'est quelqu'un qui ose donner des jugements sans science.

¹ سورة ق / آية 18.

Un *moujtahid*, c'est quelqu'un qui a l'aptitude à faire l'*ijtihad*, c'est-à-dire qu'il lui est permis de le faire en fonction de qualités bien précises et de conditions qu'il est indispensable qu'elles soient réunies en lui. Ce sont des qualités et des conditions qui ne sont pas présentes chez la majorité des gens de cette époque.

Quant à celui qui prétend avoir un degré qu'il n'a jamais atteint, et qui se met à donner aux gens des jugements sans science, il se met à donner des jugements qui concordent avec son avis personnel et ses passions, c'est quelqu'un qui est allé à sa perte, un traître que *Allah tabaraka wata^ala* dévoilera dans le bas monde avant l'au-delà, tout comme notre Imam *Ach-Chafi^iyy*, que *Allah* l'a agréé, a dit : « Celui qui se place lui-même au-dessus de sa propre valeur, *Allah ta^ala* le ramènera à sa juste valeur »¹.

Vous avez en la personne du Messenger de *Allah* un excellent modèle, puisque dans le *hadith*, un homme avait interrogé le Prophète ﷺ à propos du meilleur des endroits et du pire des endroits. Le Messenger a dit ce qui signifie : « **Je ne sais pas, je demanderai à Jibril.** » Puis la révélation est parvenue au Messenger de *Allah* ﷺ que les meilleurs des endroits sur Terre sont les mosquées et que parmi les pires des endroits sur Terre il y a les marchés.

Parmi les causes majeures de la diffusion de l'ignorance et des mauvaises compréhensions chez les gens, il y a justement le fait de donner des *fatwa* sans science et de demander des *fatwa* aux ignorants et à ceux qui prétendent la science. Dans le *hadith sahih*, authentifié du Messenger de *Allah* ﷺ : ce qui signifie : « **Allah n'enlève pas la science en l'arrachant des esclaves mais Il enlève la science en faisant mourir les savants, au point que lorsqu'il n'en reste plus aucun, les gens élisent à leur tête des ignorants qui sont interrogés et qui répondent en donnant des avis sans science, ils s'égareront ainsi et ils égarent autrui.** » Le Messenger de *Allah* ﷺ, dans ce *hadith*, n'a pas donné d'excuse à celui qui donne des avis sans science, ni à celui qui demande des avis à un ignorant. Le premier en raison du fait qu'il a donné des avis sans science ; le deuxième parce qu'il a demandé à celui qui ne mérite pas d'être interrogé.

Le *hafidh* *An-Nawawiyy*, que *Allah* lui fasse miséricorde, a dit : « *Il n'est pas permis de demander la fatwa à quelqu'un d'autre qu'à un savant digne de confiance.* » Ceci a été cité dans *Mouqaddimatou l-Majmou^*.

La voie de la sauvegarde, c'est de se préserver d'abord nous-mêmes, avant de donner un avis de jurisprudence, et de nous rappeler que nous avons devant nous le Paradis et l'enfer. *Allah ta^ala* dit ce qui signifie : « **L'esclave ne prononce pas une parole sans que soient auprès de lui *Raqib* et *Atid*.** » Esclaves de *Allah*, le fait de donner un avis religieux sans science fait partie des grands péchés et risque de conduire celui qui se laisse aller à le faire à la mécréance, que *Allah* nous en préserve et nous accorde de terminer notre vie sur la foi complète.

إِحْوَتِي فِي اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ فَقَالَ وَهُوَ
أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

¹ Voir le *Majmou^*, Commentaire du *Mouhadhdhab*, tome 1 page 13.

تَسْلِيمًا ﴿٥﴾¹ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُنَّ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرَيْرِيَّ رَحِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا حَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَتَّبِعْكُمْ وَأَشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَآتِقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.



www.apbif.org

Association des Projets de Bienfaisance Islamiques en France
52, boulevard Ornano 75018 Paris Tél. : 01 42 62 79 97 Fax : 01 42 62 79 68

Les documents édités par l'APBIF peuvent être obtenus aux adresses suivantes :

Paris	11, rue Labois-Rouillon 75019 52, boulevard Ornano 75018 Paris 24, rue du département 75018 Paris	01 42 62 86 46 01 42 51 53 50 01 40 05 95 22
Ile de France	3, rue Henri Barbusse 94340 Joinville-le-Pont 4, rue des Fossés 77000 Melun 12, place Georges Pompidou 93160 Noisy le Grand	01 42 83 09 93 01 60 65 46 06 01 43 04 50 21
Alès	9, rue du trescolet l'habitablelle 30110 Les Salles du Gardon	04 66 60 86 22
Avignon	71, avenue de Monclar 84000 Avignon	04 90 85 58 06
Lille	25bis rue Charles Quint 59000 Lille	03 20 06 31 10
Lyon	145, cours Tolstoï 69100 Villeurbanne	04 78 85 44 98
Marseille	138, rue de Crimée 13003 Marseille 99 boulevard de Strasbourg 13003 Marseille 5 place Joseph Lanibois 13015 Marseille	04 91 95 71 69 04 91 62 98 09 09 53 97 47 45
Montpellier	391, Grand Mail Mosson 34080 Montpellier	04 67 04 17 83
Nancy	397 avenue Pinchard 54100 Nancy	09 50 89 38 07
Narbonne	26, avenue de Toulouse 11100 Narbonne	04 68 42 28 34
Nice	2 bis, rue Fodéré prolongée 06300 Nice	04 93 26 79 19
Nîmes	56, galerie Richard Wagner 30900 Nîmes	04 66 64 51 84
Rennes	22, rue Louis Delourmel 35230 Noyal-Châtillon sur Seiche	02 99 30 25 66
Toulouse	Rés. Les Oliviers 207 rue Henri Desbals 31100 Toulouse	05 61 76 17 16
St-Dizier	2, rue Hubert Fisbacq 52100 St-Dizier	03 25 05 37 90
St-Etienne	33, boulevard de la Palle 42100 St-Etienne	04 77 41 36 97
Strasbourg	17 rue d'Obernai 67000 Strasbourg	03 88 32 41 57
Valenciennes	448 rue Jean Jaures 59410 Anzin	03 27 41 72 88

¹ سورة الأحزاب/56.